النشـــــــــــرة

تصـــدرها مطـــرانية الـــروم الأرثوذكـــس في بـــيروت

العدد ١٩٩٨/١٦

الأحد ١٩ نيسان

أحد الفصح المقدس

المسيح قام

حـــقـــاً قـــام

الـــرســـالـــة (أعمال الرسل ١ : ١ - ٨)

الإنـــجـــيـــل (يـــوحـــنـــا ١ : ١ - ١٧)

+ سبت النور

"الفصح هو أكثر الأيام ملاءمة لإقامة المعمودية، ففيه تمّت آلام الرب واليها نعتمد... تلي الفصح فترة العنصرة التي فيها أُعلنت قيامة الرب للتلاميذ اكثر من مرة، وفيـــها وُهبـــت نعمة الروح القدس أول ما وُهبت..." (ترتليانوس، في المعمودية فصل ١٩).

قد يتساءل البعض عن سبب تسمية السبت العظيم المقدس "سبت النور". الجواب بسيط جداً: سر المعمودية في القرون الأولى المسيحية كان جزءاً لا يتجزأ مـــن إحتفـــال الفصـــح السنوي العظيم وكان الموعوظون المستعدون للاستنارة يعمَّدون ليلة الفصح بالذات.

المعمودية هي خلع الإنسان العتيق ولبس الإنسان الجديد، هي انتقال من العبودية الى الحرية، هي فصح اي عبور من الظلمة الى النور. وقد وعت الكنيسة، منذ نشأتها، ان المعمودية هي موت على شبه موت يسوع المسيح وقيامة معه. نرتل في احدى طروباريات سبت لعازر: "أيها المسيح الإله، لما دُفنّا معك في المعمودية، استأهلنا بقيامتك الحياة الخالدة..."

في الكنيسة الأولى كانت معمودية الكبار هي الأكثر شيوعاً، وكان على هؤلاء أن يخضعوا لفترة تعليم ووعظ تمتد ما بين سنة وثلاث سنوات وكانوا يسمّون الموعوظين. وقبل الفصح بأربعين يوماً يأتي هؤلاء مع كفلائهم (العرّابين) ويدوّنون أسماءهم لدى الأسقف في كتاب الحياة ويخضعون طوال هذه الفترة لصلوات الإستقسامات اي صلوات طرد الشياطين، تحضيراً لمعموديتهم ليلة الفصح. كذلك فإن الصوم الأربعيني المقدس مرتبط بصوم التحضير للمعمودية لأن الكنيسة بكاملها، جسد المسيح، كانت تصوم مع هؤلاء المستعدين للاستنارة، استعداداً لاستقبالهم يوم الفصح.

من يتابع خدمة قداس سبت النور لا بد له أن يلاحظ أنها جزء من خدمة معمودية المستعدين للإستنارة. في هذا القداس نقرأ خمس عشرة قراءة من العهد القديم، من سفر التكوين (الخلق) والخروج (عبور البحر الأحمر) ويونان النبي (الخروج من بطن الحوت) ودانيال النبي والفتية الثلاثة (أتون النار) وكانت هذه القراءات تستغرق حوالي الساعة، كان يتم أثناءها تعميد المستعدين للإستنارة اللابسين الحلل البيضاء. فيدخلون الى الكنيسة في زياح بينما ترتل الجوقة "أنتم الذين بالمسيح اعتمدتم المسيح قد لبستم". لذلك نرتل في قداس سبت النور "أنتم الذين بالمسيح اعتمدتم" بدل "قدوس الله..." أما فصلا الرسائل والأناجيل فهما اللذان نقرأهما في خدمة المعمودية العادية. وهكذا تكون ليلة الفصح هي ليلة إستنارة هؤلاء ويصبح الفصح عيد الأعياد بالنسبة لهم إذ هو بالحقيقة ملء المعمودية. في هذا اليوم يفيض نور المسيح في قلوب المُعمَّدين ويُجدد كل واحدٍ منا معموديته عبر تجديد ايمانه بقيامة الرب فنكون مستحقين ان نرى نوره الأزلي في الملكوت.

+ أحد الشعانين

صباح الأحد ١٢ نيسان ١٩٩٨ ترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس قداس أحد الشعانين في كنيسة نياح السيدة في رأس بيروت، وقد ألقى بعد قراءة الإنجيل المقدس العظة التالية:

"باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين.

يا أحبة،

هذا العيد الذي به تحتفلون يذكّرنا بأمر أساس: لمن ننتمي؟ من نطيع؟ من هو سيدنا وربنا وحاكمنا وملكنا؟ نحن نفرح بهذا العيد إن كنا في الإيمان لأن كل نفس مؤمنة تتواضع أمام الله وتفرح بكل تواضع فكيف اذا كان المتواضع إلهاً؟ التواضع والوداعة هما من الأسس الرئيسية التي يبنى عليها الإنسان الإنسان. لكن ما لفتني اليوم في هذا العيد أنّ الذي دخل المدينة المقدّسة كان قد أتى إليها مراراً، وكان يأتيها سيراً على الأقدام. لكنه اليوم، وبعد أن أقام لعازر الذي أنتن جسده لأربعة أيام، يدخل المدينة المقدّسة ليرتفع على الصليب معلناً للجميع أنه يموت من أجلنا برضاه، وأنه هو الذي خلق الإنسان وهو رب السماء والأرض، وهو الذي أعاد جسد لعازر المائت النتن الى حالته الصحيحة السابقة.

يسوع يدخل اليوم الى أورشليم لا كسائر المرات. يسوع، الذي حاول الشر أن يجابهه ظناً منه أنه سيغلبه، لم يأتِ أورشليم بوسائل الأشرار. لم يأتِ على فرس حرب ولا دخل بآلة شر بل دخل، كما جاء في النبوءات، على حيوان أظهره الأنبياء حاملاً ملك السلام. هذا الإنسان الإله دخل أورشليم ليحوّلها من مدينة أرضية الى مدينة سماوية. واليوم أصوات الأطفال، بما تحمل من طهارة وعفوية وتلقائية، تسبّح الذي أتى ليبعد الشر والخطيئة عن الإنسان وليُحِلّ في الأرض مُلْكَ السلام والوداعة والتواضع. مَلِكُنا هذا قال لنا أتيت اليوم اليكم في خضم أوجاعكم وفي جروح أجسادكم ويأس تطلّعاتكم لأرمي السلام في قلوبكم. أنا هو سلامكم. كل الناس يتكلمون عن السلام وسلام الناس مطية لمصالحهم. كل الناس يتكلّمون عن التوافق لحصة قد يحصلون عليها، أما أنا فإني آتٍ إليكم لأموت، لا لأحصل على شيء بل لتحصلوا أنتم على كل شيء. أصبحت عبداً لتصبحوا أسياداً. سأموت ليخرج من القبر القائمُ من بين الأموات مانحكم الحياة. أنا سلامكم وأنتم تحيون بما أرميه في قلوبكم من بذار الخير والحق والصلاح والوداعة والتواضع، وإذا أردتم أن تكونوا كاملين تشبّهوا بالله، أحبّوا، كونوا رحماء كما أن أباكم الذي في السموات رحيم.

ملكنا أتى إلينا لنملك بالمحبة واللطف، لنسود على كل قلب بما يشتهي من عطف ومحبة ولقاء لا كما يسود الناس علينا. نحن أسياد في المحبة ونحن عبيد في خدمة من نحب. السيد الحقيقي هو من دخل الى الأعماق، من اصطاد في العمق. السيد المزيّف يغرق في اشياء تافهة فيما السيد الحقيقي يدعو الناس الى ولوج الأعماق كما فعل السيد مع تلاميذه عندما لم يوفقوا في الصيد إذ قال لسمعان "أبعد الى العمق وألقوا شباككم للصيد" (لو ٥:٤).

نحن نرى العالم يتأجج بنار المنافسة والحسد والحقد والمصلحة والمال وما شابه لأن البشر ما عرفوا السيادة وما عرفوا المُلْكُ بل هم في عبودية شهواتهم وأموالهم ومبتغاهم وما يطمحون اليه. تعرفون أن الأطفال – والأطفال أطهار– رموا ثيابهم على الأرض ليدوسها مَلِكُ الكل، وهم صورة لكل نفس تشتاق الى المَلِك الحقيقي. نحن عراة أمام الله لا نملك سواه. نحن لا نملك سواه لذلك نلقي ثيابنا ونهرع خلفه ولو كنا عراة لأنه هو يلبسنا ونحن نلبسه كما نرنم في الكنيسة: "أنتم الذين بالمسيح اعتمدتم، المسيح قد لبستم". من يهتم بلباسه وببيته وبما يملك من أرض وبناء ومال وشركات وما شابه، هذا عبد لكل أصنامه هذه. لذلك، إذا لاحظتم ان الصراع بين البشر على أمور سطحية تدفعها الأنا فلا تستغربوا لأن هؤلاء لا يملك الله قلوبهم ولا يملك فيهم. إذا كان البلد يتخبّط بالمشاكل فلأنهم جعلوا من أنفسهم الغاية وهم ليسوا بغاية. ما نحن إلا عبيد بطّالون كما يقول الإنجيل المقدس: "كذلك أنتم أيضاً متى فعلتم كل ما أُمرتم به فقولوا إننا عبيد بطّالون لأننا إنما عملنا ما كان يجب علينا" (لو ١٧:١٠). لذلك، عندما لا يكون القلب ممتلئاً من نعمة الله لا تنتظروا إلاّ الفراغ، لا تنتظروا إلاّ المماحكات والكيد لأنهم لا يعرفون المحبة ولا الغفران ولا المسامحة. ينتظرون أن يمدحهم الجميع، أن يكونوا أصناماً من رخام بارد، على عامود بارد، وينسون أننا بشر ونحتاج الى قلوب حارة تحنو على الإنسان، ترنو اليه، تحتضنه لتجعله مكرَّماً وغاية وأساساً. نحن لسنا بكاملين. الشعب ليس بكامل. الناس يتكلّمون عن قضايا كبيرة، في المبدأ عظيمة، كلمات تُستعمل للإستهلاك، والذين يستعملونها هم أكثر الناس إنتهاكاً لها. قبليون هؤلاء. والقبيلة أشر من الطائفة او الدين إذا أصبح الدين أرضياً. هؤلاء يجعلون من الكلمات الطيبة محملاً لما لا نقصد إليه.

قال الكتاب المقدس احذروا الشيطان "لأنه يغيّر شكله الى شبه ملاك نور" (٢ كور ١١:١٤). الكبير يسع الصغير، الحاكم حكيم بدءاً والحكيم هو الذي إذا رأى اعوجاجاً صبر، والصابرون وحدهم يفهمون الأبعاد البشرية، أما النزقون فلا يستطيعون ان يحكموا لأن البدء في حكمهم أنفسهم وبعدئذ يحكمون الناس حكماً عادلاً محقاً.

نحن لسنا ملائكة او قديسين، لكن الذي نستقبله اليوم يقول بفم رسوله بولس: "افرحوا في الرب في كل حين وأقول أيضاً افرحوا" (فيليبي ٤:٤)، "لا تهتموا بشيء" لأني أنا طعامكم وشرابكم وحاجتكم الأولى. آمنوا وحسب. لقد احييتُ الميت أفَلستُ قادراً على إعطائكم ما هو أقل من الحياة؟ لا تهتموا يا أحبتي لأن الله قريب منكم في كل حين، أقرب اليكم من جلدكم هو، أقرب اليكم من قلبكم. الله في داخلكم فلا تخافوا، افرحوا. والذي يفرح بالرب ويطمئن اليه انسان حليم لا يغضب: "ليكن حلمكم معروفاً عند جميع الناس" (فيليبي ٤:٥).

يسوع حليم، بصقوا عليه، جلدوه، شتموه، صلبوه فقال: "أغفر لهم يا أبتاه لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون" (لوقا (٢٣:٣٤). بعض البشر إذا شُتموا يعيدون الشتيمة أطناناً من الشتائم. هؤلاء لا ينتمون الى المسيح. يتابع بولس الرسول في رسالته الى أهل فيليبي: "لا تهتمّوا بشيء بل في كل شيء بالصلاة والدعاء مع الشكر لتُعلَم طلباتكم لدى الله" (٤:٦). قلق أنت؟ لماذا؟ الله قريب. جائع أنت؟ تتألم؟ هل رفعت صلاتك الى الله طالباً معونته؟ ويختم بولس في الرسول: "سلام الله الذي يفوق كل عقل يحفظ قلوبكم وأفكاركم في المسيح يسوع" (٤٠:٧).

وبعد أيها الإخوة، إذا شئتم ان تتحدثوا مع المسيح، إذا شئتم ان تنتموا اليه، ينصحكم بولس الرسول ان تصبحوا كالأطفال لتدخلوا ملكوته، وأن تستقبلوه حاملين أغصان السلام ومسعف النصر لأن الزيتون للسلام وسعف النخيل للنصر. "ومهما يكن من حق او عفاف او عدل او طهارة او صفة محبّبة او حسن صيت، إن تكن فضيلة وإن يكن مدح ففي هذا افتكروا. وما تعلّمتموه وتسلمتموه وسمعتموه ورأيتموه فيّ فبهذا اعملوا" (في ٤:٨ و٩). كونوا عفيفين. كونوا في الحق وفي العدل، واحملوا أغصان الفضائل والعفاف والطهارة كما كنا نرنم طيلة هذا الاسبوع. استقبلوا المسيح بطهارة قلوبكم وعفة قلوبكم وأيديكم وضمائركم.

المسيح آتٍ، لكن الذي يفهم مجيئه هو نقي القلب، "طوبى لأنقياء القلوب لأنهم يعاينون الله" (متى ٥:٨)، لأنهم اذا رأوه يعرفونه. لا تخافوا. إله السلام يكون معكم.

فيا إخوتي، يسوع ملككم، وله تسمعون. اما من كان ضميره يؤنبه فإنه ما زال في عبادة آلهة أخرى. الضمير الصالح يسير في استقامة ولا يخاف. ولهذا تكلموا بالله في كل حين وبالأخص عندما تشعرون ان الناس غائبون عن حضرة الله.

أعاد الله عليكم هذا العيد وأنتم في عبودية المسيح لتكونوا في الحرية. ولا أصلي لكي تكونوا أسياداً في الأرض لئلا تكونوا عبيداً لشهواتكم وزلّاتكم ومطامحكم ومصالحكم ولكل لذة تنخر النفس والقلب.

أعاد الله هذا العيد والسلام الحقيقي يرفرف فوق كل قلب ليحلّ السلام في لبنان ولا معترض له.

سلام الله معكم لتكونوا معاً، وإذا كنتم هكذا فسلام الله يستقر في لبنان ويجد الله فيه مقرا. آمين".

+ اكليل الحقيقة

افتحوا آذانكم

فأخاطبكم،

إمنحوني أنفسكم
لكي اهبكم نفسي،
كلمة الرب ومشيئاته،
تدبيره المقدّس بشأن مسيحه.

بين يدي الرب حياتكم.
حكمته حياة أبدية
وبِرّكم بلا عيب.
اغتنوا بالله الآب،
إقتبلوا فكر العلي،
تقّووا
واخلصوا بنعمته.
بالسلام أبشّركم
يا قدّيسيه.

سامعو هذا النداء
لن يسقطوا في الجهاد.
عارفوه
لن يهلكوا،
والذين تسلّموه لن يخزوا.

الحقيقة إكليل خالد
طوبى للمتّوجين بها.
حجر كريم هي
خيضت المعارك من أجلها
أخذتها العدالة وقدّمتها لكم.

إقتبلوها لتختموا بها العهد مع الرب.
أسماء المنتصرين ستُثبت في سِفْرها

كتابهم هو النصر الذي يخصّكم.
تراكم أمامها
وتبتغي خلاصكم.
هلليلويا.

من أناشيد سليمان (بدايات القرن الثاني)

+ تأمل

إفرحي يا أورشليم ، وأنتم يا جميع من يحبّون يسوع، إجتمعوا، لأنه قام. إبتهجوا أنتم يا من كانوا قبلاً محزونين (أشعياء ٦٦: ١) لسماعكم بجرأة اليهود ومعاصيهم. لأن الذي أهانوه آنئذ، قام من الأموات. وكما ان الذين استمعوا الى العظة عن الصليب، حزنوا، فليفرح الحاضرون الآن بنبأ القيامة. ليتحوّل الحزن الى فرح، والنوح الى سرور (مز ٢٩: ١٢) ولمتلىء فمنا فرحاً وإبتهاجاً (مز ٧٠: ٨). لأني أعرف الحزن الذي شعر به أصدقاء المسيح، في هذه الأيام الماضية. في الوقت الذي اقتصرت فيه عظاتنا على الموت والدفن، لم نكن قد أعلنّا نبأ القيامة. لذلك كانت أذهانكم معلّقة بما ترغب في سماعه. لقد قام إذاً هذا الذي مات، وكان حُرّاً بين الأموات، وحرّر المائتين. هذا الذي في آلامه كُلِّل بالشوك خزياً له، قام متّوجاً بإكليل الغلبة على الموت.

...إنهم يقولون ملحّين إن ميتاً حديثاً يمكن أن يقيمه حيّ. ولكن بيّنوا لنا إذا كان من الممكن أن يقوم ميت بعد ثلاثة أيام، وإذا كان ممكن أن يستردّ الحياة إنسانٌ مدفون منذ ثلاثة أيام. والى الذين يطالبوننا بشهادة على هذه الحالات، نقول: إن الربّ يسوع نفسه أعطانا هذه الشهادة في الإنجيل، عندما قال: ''فكما أن يونان أقام في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال، كذلك إبن الإنسان يقيم في جوف الأرض ثلاثة ايام وثلاث ليال...'' (متى ١٢: ٤٠). وإذا نحن فحصنا قصّة يونان، فإننا نجد شَبَهاً عظيماً. أُرسِل يسوع ليكرز بالتوبة (متى ٤: ١٧) ويونان كذلك (يونان ١: ٢). ولكن هذا الأخير، إذ كان يجهل ما كان سيحدث، هرب؛ وذاك جاء ليكرز بتوبة الخلاص، كان يونان نائماً في السفينة مستغرقاً في النوم، بينما كان البحر هائجاً، تعصف به زوبعة عظيمة. ويسوع كذلك كان نائماً والبحر مضطرباً إنما لغرَض، وهو إظهار قوّة الذي كان نائماً، كانوا يقولون لذاك: ''قم فادعُ الى إلهك لعلّ الله يفكّر فينا فلا نهلك'' (يونان ١: ٦) وهنا كانوا يقولون: ''نجّنا يا رب'' (متى ٨: ٢٥). هناك كانوا يقولون: ''أدعُ الى إلهك'' وهنا ''نجّنا'' وقال ذلك: ''خذوني وألقوني في البحر فيسكن البحر عنكم'' (يونان ١: ١٢)، وهنا: ''حينئذ زجر الرياح والبحر، فساد هدوء عظيم'' (متى ٨: ٢٦)، ''وابتُلع يونان في جوف الوحش البحري'' (يونان ٢: ١)، وهذا نزل طوعاً للموت

حيث كان الوحش الروحي. نزل طوعاً لكي يلفظ الموت هؤلاء الذين ابتلعـــهم، كمـــا هـــو مكتوب: ''سأفتديهم من سلطان الجحيم وأُنجيهم من مخالب الموت'' (هوشع ١٣: ١٤).

لقد فزع الموت إذ رأى زائراً جديداً ينزل الى الجحيم دون أن يرتبط بقيوده (أعمـــال ٢: ٢٤). لماذا ارتعبتم يا حرّاس الجحيم لدى رؤيته؟ أي خوف خارق استحوذ عليكم؟ لقد فرّ الموت، وهذا الفرار دلّ على جُبنه. وأسرع اليه الأنبياء القديسون: موســـى المشـــترع، وإبراهيم وإسحق ويعقوب، وداود وصموئيل، وأشعياء ويوحنـــا المعمـــدان الـــذي أدّى هـــذه الشهادة: ''أأنت من يأتي أم ننتظر آخر؟'' (متى ١١:٣) جميع الأبرار حُرَّروا، هؤلاء الذين كان الموت قد ابتلعهم، إذ كان لا بدّ للملك الذي بشّروا به أن يفتـــدي مرسَـــليه المخلصيـــن. وهكذا كان كل بارّ يقول: ''أين غلبتك يا موت، أين شكوكتك يا جحيم''؟ (١كور ١٥: ٥٥)، لأن صانع النصر قد افتدانا.

القديس كـــيرلس الأورشليمـــي
(القرن الرابع)